

في مواجهة عالم متغير: المرأة، والسكان، والمناخ

(محظور نشره قبل الساعة ١٢:٠٠ بتوقيت غرينيتش من يوم ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٩)

ولابد لمناقشة قضية تغير المناخ في المستقبل أن تأخذ في الاعتبار جميع جوانب المشكلة من حيث أبعادها الإنسانية والمتعلقة بالنوع الاجتماعي. وأي معاهدة سوف تبنثق عن مؤتمر عام ٢٠٠٩ لأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية المتعلقة بتغير المناخ ” ويكون من شأنها أن تساعد الناس على التكيف مع تغير المناخ وتسخير طاقات النساء والرجال من أجل عكس مسار الاتجاه نحو ارتفاع درجة حرارة الغلاف الجوي للأرض ستكون بمثابة استراتيجية عالمية أصيلة وفعالة لمعالجة مسألة تغير المناخ في الأجل الطويل“، وفقاً لما أعلنته السيدة ثريا عبيد.

عناصر تغير المناخ

لقد ارتفعت درجة حرارة سطح الأرض بمعدل ٠,٧٤ درجة مئوية على مدى المائة عام الماضية. وقد لا تبدو هذه الزيادة كبيرة، لكن هذا المعدل من الاحترار كاف لتعطيل الكثير من النظم الإيكولوجية لكوكبنا والتسبب في مخاطر هائلة أمام رفاهة البشر. والأهم من ذلك أن الاتجاهات الأخيرة في تزايد درجة حرارة الغلاف الجوي للأرض، لو استمرت بمعدلاتها الحالية أو تسارعت وتيرتها، كما يتوقع كثيرون من علماء المناخ، فإن درجة حرارة الأرض قد ترتفع بمعدل يتراوح بين ٤ و ٦ درجات مئوية أخرى بحلول عام ٢١٠٠، بما ينطوي عليه ذلك من آثار وخيمة على البيئة والمستوطنات البشرية والاقتصادات والناس كافة. وقد تبين أن السنوات العشر

الأعلى درجة حرارة على الصعيد العالمي منذ عام ١٨٨٠ هي من بين الثلاثة عشر عاماً الأخيرة من عمر هذا الكوكب. وهناك اعتقاد متزايد لدى علماء المناخ في مختلف أنحاء العالم بأن الجانب الأكبر من معدلات الاحترار التي حدثت مؤخراً إنما تعزى إلى غازات الدفيئة المنبعثة إلى الغلاف الجوي بفعل أنشطة بشرية للسكان الذين يزدادون ثراءً، وبخاصة في البلدان الصناعية. ويؤدي تزايد احتراق الوقود الأحفوري كالنفط والغاز إلى إطلاق المزيد من ثاني أكسيد الكربون إلى الغلاف الجوي مما يضاعف ويسرع من ”أثر الدفيئة“. كما تؤدي إزالة الغابات وتدهور التربة إلى إطلاق المزيد من

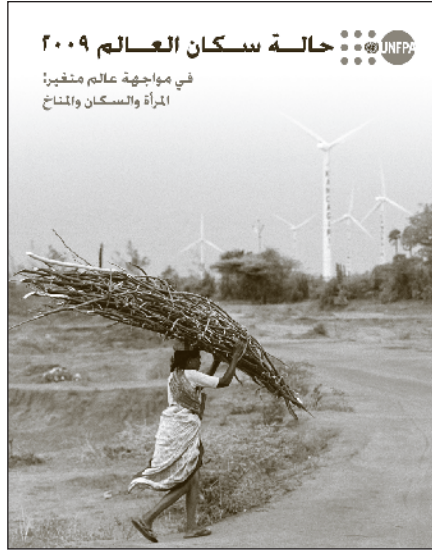
١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٩ - إن تنظيم الأسرة، والرعاية الصحية الإنجابية، والعلاقات بين الجنسين هي أمور يمكن أن تؤثر جميعها على مستقبل المسار الذي سيتخذه تغير المناخ، وعلى كيفية تأقلم البشر مع أمور من قبيل ارتفاع مستوى سطح البحر، وتفاقم الأعاصير، وازدياد حدة حالات الجفاف، وفقاً لما ذكره تقرير حالة سكان العالم ٢٠٠٩، الذي نشره اليوم صندوق الأمم المتحدة للسكان.

ويخلص التقرير إلى أن هناك احتمالاً كبيراً بأن تتكامل النجاح في الأجل الطويل الاتفاقات الدولية والسياسات الوطنية المتعلقة بتغير المناخ إذا ما أخذت في الاعتبار الديناميات السكانية، والعلاقات بين

الجنسين، ورفاهة المرأة وتيسير سبل حصولها على الخدمات والفرص. ومن الاستنتاجات التي توصل إليها تقرير حالة سكان العالم ٢٠٠٩ أن تخفيض وتيرة النمو السكاني، على سبيل المثال، من شأنه أن يعزز من قدرة الصمود الاجتماعي في مواجهة آثار تغير المناخ وأن يساهم في الحد من انبعاثات غازات الدفيئة في المستقبل.

ويتمحور الجانب الأكبر من المناقشة الدائرة حول تغير المناخ اليوم حول المسؤوليات النسبية للبلدان عن الحد من انبعاثات غازات الدفيئة، وعن تمويل الجهود الرامية إلى التحول إلى الطاقة المنخفضة الكربون وغيرها من التكنولوجيات المماثلة. فما هو النهج الأفضل لتخفيض انبعاثات الكربون؟ ومن

الذي ينبغي أن يتحمل المسؤولية عن التصدي لمشكلة تغير المناخ الآن وفي المستقبل؟ ”سؤالان على درجة عالية من الأهمية“، حسبما تقول المديرية التنفيذية لصندوق الأمم المتحدة للسكان، السيدة ثريا أحمد عبيد، في تصديرها لهذا التقرير. وتضيف قائلة ”إن القضايا الأساسية المتعلقة بتباين تأثير تغير المناخ على النساء والرجال والفتيات والفتيات في مختلف أنحاء العالم، بل وفي داخل البلدان نفسها، تحظى بنفس القدر من الأهمية، وكيف أن سلوك الأفراد يمكن أن يقوض أو أن يساهم في تقويض الجهود المبذولة على الصعيد العالمي من أجل تخفيض درجة حرارة كوكبنا الآخذة في الارتفاع“.



ثاني أكسيد الكربون إلى الغلاف الجوي ، وتسبب مختلف الأنشطة المتعلقة بالزراعة والتبريد في انبعاث العديد من غازات الدفيئة الأخرى الأشد أثراً .

أثر تغير المناخ

ينطوي تغير المناخ على إمكانات من شأنها عكس مسار مكاسب التنمية التي جرى تحقيقها بشق الأنفس على مدى العقود الماضية ، وما أحرز من تقدم في تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية . وسوف تؤدي هذه الانتكاسات إلى شحة المياه ، واشتداد حدة العواصف المدارية ، وحالات المد العصفية ، والفيضانات ، وفقدان مياه الكتل الجليدية المذابة المستخدمة في ري الزراعة ، وحالات نقص الأغذية ، والأزمات الصحية .

ويهدد تغير المناخ بتفاقم حدة الفقر ، أو إثقال كاهل الجماعات المهمشة والضعيفة بمصاعب إضافية . ففي جنوب شرقي آسيا ، على سبيل المثال ، يعيش قرابة ٢٢١ مليون نسمة تحت خط الفقر المحدد بدولارين يومياً . ويعيش كثيرون من فقراء المنطقة في المناطق الساحلية ودلتا الأنهار الواطئة ، وكثير من هؤلاء الفقراء هم من المزارعين ذوي الحيازات الصغيرة أو من الناس الذين يتكسبون رزقهم من البحار . وتعاني الأسر المعيشية الفقيرة بوجه خاص من الضعف إزاء حالات تغير المناخ لأن دخولها الهامشية لا تتيح لها سوى النزر اليسير من الخدمات الصحية أو شبكات الأمان الأخرى التي تحميها من الأوضاع الجوية المتغيرة .

كما ينتج عن تغير المناخ ارتفاع مستويات البحار ، مما يعرض للخطر المناطق الساحلية الواطئة ذات الكثافة السكانية العالية والدول الجزرية الصغيرة .

وفي أيار/مايو ٢٠٠٩ ، وصفت مجلة لانست الطبية تغير المناخ بأنه ” أضخم تهديد صحي في القرن الحادي والعشرين “ . وتضيف المجلة : ” إن محصلة أثر تغير المناخ على أنماط الأمراض في العالم ستكون على درجة بالغة من منظور علم الأوبئة ، ولاسيما في البلدان النامية ، التي لا تزال مظاهر الضعف الصحي قائمة فيها “ . وعلى سبيل المثال ، سوف يزداد معدل انتشار الأمراض التي تسببها ناقلات الجراثيم . وربما تصاب ملايين أخرى من الناس بداء الملاريا ، لأن ارتفاع درجات الحرارة يتيح للبعوض الحامل للمرض التواجد على مرتفعات عالية .

تغير المناخ والهجرة

من المحتمل أن تزداد حدة التحركات السكانية على نطاق كبير نتيجة لما يؤدي إليه تغير المناخ من التخلي عن البيئات المنكوبة بالفيضانات أو القاحلة أو ذات الظروف غير الملائمة . وستؤدي عمليات الهجرة الجماعية الناجمة عن ذلك إلى حدوث الكثير من المشاكل الصحية الخطيرة سواء بصورة مباشرة ، الناجمة عن مختلف أشكال الإجهاد المتعلقة بعملية الهجرة ، وغير مباشرة ، الناجمة عن إمكانية نشوب نزاعات أهلية تتسبب فيها التحركات الفوضوية للسكان .

وقد يتعين على ملايين الناس الذين يقطنون الآن في المناطق الساحلية المنخفضة أن يتركوا منازلهم إذا ارتفعت مستويات البحر كما يتوقع معظم خبراء تغير المناخ . وقد يضطر المزارعون ، بفعل حالات الجفاف المطولة والحادة ، إلى الانتقال من المناطق الريفية إلى المدن التماساً لسبل جديدة للعيش . وربما يهاجر سكان الأحياء الفقيرة في المناطق الحضرية المعرضة للفيضانات إلى مناطق ريفية هروباً من الخطر . وفي بعض الحالات ، قد يؤدي التدهور البيئي التدريجي إلى تبديد فرص كسب الدخل ، مما يدفع بالبعض عبر الحدود الوطنية . ونظراً للطابع المعقد الذي تتسم به الأسباب التي تدعو الناس إلى الهجرة أو التماس اللجوء ، فإنه من الصعب التنبؤ بالأثر الذي سيجده تغير المناخ على الهجرة في المستقبل . بيد أنه من المحتمل أن يصبح تغير المناخ قوة دافعة رئيسية وراء التحركات السكانية في المستقبل ، وربما يحدث ذلك في معظم الأحيان من خلال عمليات النزوح الداخلية ولكن أيضاً ، إلى حد ما ، عن طريق الهجرة الدولية .

تخفيف آثار تغير المناخ

يتسم تأثير النشاط البشري على تغير المناخ بطابع معقد . فالأمر يتعلق بما نستهلكه ، وبأنواع الطاقة التي ننتجها ونستخدمها ، وما إذا كنا نعيش في مدينة أو مزرعة ، وما إذا كنا نعيش في بلد غني أو فقير ، وما إذا كنا شباباً أو مسنين ، كما يتعلق الأمر بما نتناوله من أغذية بل ويمدَى تمتع النساء والرجال بالتكافؤ في الحقوق والفرص . ويتعلق الأمر أيضاً بأعدادنا المتزايدة التي تناهز ٧ بلايين نسمة . ومع نمو الاقتصادات ، فإن أعداد السكان وأحجام الاستهلاك تفوق قدرة الأرض على التكيف ، وربما يصبح تغير المناخ أكثر حدة ، بما ينطوي عليه الأمر بطبيعة الحال على نتائج وخيمة . ولا تكشف الديناميات السكانية إلا عن جانب واحد من جوانب عملية أكبر وأكثر تعقيداً تتعلق بالكيفية التي شقت بها بعض البلدان والشعوب طريقها نحو التنمية وحددت سبيلها نحو التقدم ، وعن بلدان وشعوب أخرى لا حيلة لها في قرارات تؤثر على مجريات حياتها .

غير أن جميع الناس أو البلدان لا يتمتعون بالمساواة حينما يتعلق الأمر بانبعاثات غازات الدفيئة التي تؤدي إلى احترار الغلاف الجوي . وحتى الآن ، فإن البلدان الصناعية هي التي ولدت نصيب الأسد من الكربون وغيره من الغازات ، لكنها لا تزال محصنة نسبياً إزاء آثار تغير المناخ . ويتحمل العالم النامي نصيباً ضئيلاً من المسؤولية عن انبعاثات غازات الدفيئة لكنه مع ذلك أصبح بالفعل يتحمل المزيد من العبء المتعلق بالتصدي للظواهر المناخية الحادة والتكيف معها ، ومواجهة ارتفاع مستويات البحار ، والفيضانات ، وحالات الجفاف . لقد كانت البلدان الصناعية وراء الجانب الأعظم من المشكلة ، ولكن فقراء العالم سيواجهون أضخم المشاكل في التكيف معها .

وتلقى الأهمية التي تتسم بها سرعة وحجم الزيادة السكانية الأخيرة في ما يتعلق بتنشيط انبعاثات غازات الدفيئة في المستقبل اعترافاً كبيراً بين العلماء ، بمن فيهم واضعو تقارير الفريق الحكومي الدولي المعني بتغير المناخ . وربما يساعد ببطء النمو السكاني في

البلدان المتقدمة النمو والبلدان النامية على حد سواء على تيسير مهمة تحقيق التوازن بين الانبعاثات العالمية والغلاف الجوي في المدى البعيد، والتمكين من عملية التكيف الأسرع مع تغير المناخ، وهي العملية الجارية بالفعل. على أن مدى التأثير الناجم عن الإبطاء في وتيرة النمو السكاني إنما يعتمد على مستقبل الاقتصاد العالمي، والاتجاهات التكنولوجية والتوجهات الاستهلاكية.

ذلك أن دور النمو السكاني في زيادة انبعاثات غازات الدفيئة هو أبعد من مجرد الرابطة الديمغرافية البارزة فيما يتعلق بتغير المناخ. وتكوين الأسر المعيشية هو أيضاً أحد المتغيرات التي تؤثر على مقدار غازات الدفيئة التي تنفذ إلى الغلاف الجوي. وقد أظهرت الدراسات أن معدل استهلاك الطاقة بالنسبة للفرد الواحد في الأسر المعيشية الصغيرة قد يكون أعلى منه بكثير بالنسبة للأسر المعيشية الكبيرة. وتشير بعض الدلائل إلى أن التغييرات في الهيكل العمري والتوزيع الجغرافي من قبيل الاتجاه نحو العيش في المدن قد يؤثر على زيادة الانبعاثات. ومن المحتمل أن تؤثر الديناميات السكانية على انبعاثات غازات الدفيئة في المدى الطويل. أما في المستقبل القريب، فإن الديناميات السكانية سوف تؤثر على قدرة البلدان في التكيف مع آثار تغير المناخ.

عبء مححف تتحمله المرأة

ولا يقتصر أثر تغير المناخ على تعريض حياة الناس للخطر وتقويض سبل معيشتهم، لكنه يهدد أيضاً بتفاقم الفجوات بين الأغنياء والفقراء وزيادة الفوارق بين النساء والرجال. وسوف تتأثر النساء، ولاسيما في البلدان الفقيرة، بصورة متباينة عن الرجال. وتعتبر هؤلاء النساء أشد الفئات ضعفاً إزاء تغير المناخ، الأمر الذي يعزى جزئياً إلى أنهن يشكلن في كثير من البلدان الجانب الأكبر من القوة العاملة الزراعية، كما يعزى جزئياً إلى حقيقة أنه لا تتاح لهن سوى فرص العمل المنخفضة الدخل. فالنساء يقمن على تدبير أمور الأسر المعيشية ورعاية أفراد هذه الأسر، مما يحد في أحيان كثيرة من قدرتهن على التنقل ويضاعف من تعرضهن للكوارث الطبيعية المتصلة بالأحوال الجوية. كما تضطر النساء، بفعل أحوال الجفاف وعدم انتظام هطول الأمطار، إلى العمل الشاق لتأمين الغذاء والماء والطاقة لبيوتهن. وتنقطع الفتيات عن الدراسة لمساعدة أمهاتهن في الاضطلاع بهذه المهام. وهذه الحلقة المفرغة من الحرمان والفقير وعدم المساواة من شأنها أن تقوض رأس المال الاجتماعي اللازم للتصدي لتغير المناخ على نحو فعال.

وفي ضوء المشاركة الهائلة للمرأة في إنتاج الأغذية في البلدان النامية، فإن الصلة الوثيقة بين النوع الاجتماعي والزراعة وتغير المناخ تستحق قدراً من التحليل أعلى بكثير مما يتوفر لها الآن. وبالنظر إلى ما تعانيه المرأة من فقر شديد، وقلة حيلة إزاء السيطرة على أمور حياتها، فضلاً عن ضعف الاعتراف بإنتاجيتها الاقتصادية، وما تتحمله من عبء غير متناسب في ما يتعلق بالإنتاج وتربية الأطفال، فإنها تواجه تحديات إضافية خاصة مع تغير المناخ العالمي.

إن تهميش المرأة والتميز ضدها وعدم الاكتراث بالطرق التي يعيق بها عدم المساواة التنمية والصحة والإنصاف والرفاه البشري العام كلها أمور تقوض قدرة البلدان على الصمود أمام تغير المناخ. والأرجح أن هذه القدرة تزدهر وتنمو في المجتمعات التي تتاح فيها للجميع فرص الالتحاق بالمدارس والاستفادة من الخدمات الصحية، والتمتع بالحماية المتساوية أمام القانون، والمشاركة الكاملة في تدبير شؤون الحياة ومصائر المجتمعات والأمم. كما أنه كثيراً ما تضرب هذه القدرة بجذورها في الثقافة، على غرار ما تكشف عنه مظاهر الكرم التقليدية في الإحسان إلى المحتاجين والعمل التعاوني في مواجهة الكوارث.

الصحة الإيجابية

وفي عام ١٩٩٤، شكل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية علامة فارقة في تاريخ السكان والتنمية. ففي ذلك المؤتمر، اتفق العالم على أن قضية السكان ليست قضية أعداد وإنما قضية بشر. وأعلن برنامج عمل المؤتمر لفترة العشرين عاماً المقبلة، والذي اعتمده ١٧٩ بلداً، أنه إذا ما تم الوفاء باحتياجات تنظيم الأسرة والرعاية الصحية الإنجابية، جنباً إلى جنب مع الخدمات الأساسية الأخرى في مجالي الصحة والتعليم، فإن الاستقرار السكاني سوف يتحقق بصورة طبيعية، دونما قسر أو تحكم. وهناك من الأسباب الوجيهة ما يدعو إلى الاعتقاد بأن تحقيق هدف المؤتمر المتعلق بتعميم الوصول إلى الرعاية الصحية الإنجابية، جنباً إلى جنب مع تحسين تعليم الفتيات وتحقيق المساواة بين الجنسين، سيكون من شأنه أن يساعد على بلوغ الأهداف الصحية والإنمائية بينما يسهم أيضاً في خفض معدلات الخصوبة، الأمر الذي سيساعد بدوره في تخفيض انبعاثات غازات الدفيئة في الأمد الطويل. وهذا الانخفاض في معدلات الخصوبة في حد ذاته وإن اقترن بزيادة في معدلات بقاء الأم والطفل، التي تسهم في تحقيقها أيضاً إسهاماً قوياً الصحة الإنجابية، والتعليم، والمساواة بين الجنسين من شأنه أن يفضي إلى مستويات سكانية أدنى من المساواة المتوقعة في معظم سيناريوهات انبعاثات غازات الدفيئة التي تم إعدادها للفريق الحكومي الدولي المعني بتغير المناخ.

التحكم في تغير المناخ

إن على الحكومات أن تتنبأ بالضغوط التي يمكن لتغير المناخ أن يضيفها إلى المهمة العصبية بالفعل المتعلقة بالنهوض بالتنمية، والتخفيف من حدة الفقر، وضمان فرص الحصول على خدمات الرعاية الصحية، والتحرك صوب تحقيق المساواة بين الجنسين، وأن تعد العدة لمواجهة هذه الضغوط. ومن الأرجح أن تنشأ النهج الناجحة إزاء تغير المناخ في سياق من التنمية المستدامة اقتصادياً واجتماعياً، واحترام حقوق الإنسان والتنوع الثقافي، وتمكين المرأة وتمتع الجميع بفرص الحصول على الصحة الإنجابية.

بيد أن التدابير المحددة للتصدي للمشكلة لا بد أن تقوم على واقع الأمور وليس على الانفعال. وهناك ثغرات في البحوث المتعلقة بالكثير

من آثار تغير المناخ والحلول اللازمة لها، ولا بد من سد هذه الثغرات قبل أن يفوت الأوان.

ويشير الطابع المعقد لعملية تغير المناخ الناجم عن أنشطة بشرية والزخم الذي يحرك هذه العملية إلى أن هناك ثلاثة مجالات تستوجب العمل الآن، بما يحقق منافع فورية، وفي الأجل القصير، وفي الأجل الطويل.

التكيف الآن وعلى مراحل: إن درجات الحرارة العالمية أخذت في الارتفاع بالفعل، ولا خيار أمامنا سوى التكيف مع التغيرات التي نواجهها الآن، وأن نعد العدة للتغيرات التي يمكن أن نتوقع حدوثها في المستقبل. وبالنظر إلى التوقعات المتعلقة بارتفاع درجات الحرارة على مدى عقود من الزمن، وارتفاع معدلات سطح البحر ربما لعدة قرون، فإن تعلم كيفية التكيف مع التغيرات الجارية في المناخ وأن نصبح أكثر صموداً في مواجهتها هي مهمة فورية وطويلة الأجل في آن واحد. بيد أن التكيف ليس بالشيء الذي يمكن أن تهبه البلدان المانحة أو المصارف أو المؤسسات للبلدان النامية. وعلى الرغم من أن التمويل

ونقل التكنولوجيا والمعرفة يشكلان أمراً أساسياً في هذه العملية، لا بد للتكيف الناجح والمستمر أن ينبثق من حياة الناس الذين يخضعون أنفسهم لعملية التكيف هذه ولخبرتهم وحكمتهم في الاضطلاع بها. التخفيف الفوري: ما لم يتم وقف انبعاثات غازات الدفيئة على الصعيد العالمي، ثم الإسراع بتخفيضها، فإن عملية التكيف مع تغير المناخ ستصبح تحدياً لا نهاية له وربما ضرباً من المحال. ولا ينبغي للسعي الحثيث إلى بناء قدرتنا على الصمود في مواجهة تغير المناخ أن يلهينا عن ضرورة العمل على خفض الانبعاثات في أسرع وقت ممكن، بدءاً من الآن.

التخفيف في الأجل الطويل: إن ما تمس إليه الحاجة من تحقيق النجاح بصورة مبكرة في تخفيض الانبعاثات سيكون بمثابة مقدمة للدخول في مهمة يحتمل لها أن تستحوذ على اهتمام البشر على مدى عقود، بل قرون، من الزمان: ألا وهي تحقيق الازدهار عالمياً مع مراعاة ألا تؤدي الأنشطة البشرية إلى الدفع بالغلاف الجوي والمناخ في العالم إلى حالة تستعصي معها حياة البشر.

للحصول على مزيد من المعلومات يرجى الاتصال بـ:

United Nations Population Fund
Information and External Relations Division
220 East 42nd Street, 23rd Floor
New York, NY 10017

هاتف: ٤٩٩٢ ٢٩٧ ٢١٢ +١؛ فاكس: ٥٥٧ ٦٤١٦ ٢١٢ +١

بريد إلكتروني: kollodge@unfpa.org

يمكن الاطلاع على التقرير الكامل، وموضوعات وتحقيقات صحفية ذات صلة بالموضوع، إلى جانب هذا الموجز، باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والإسبانية والروسية على الموقع الشبكي لصندوق الأمم المتحدة للسكان www.unfpa.org.